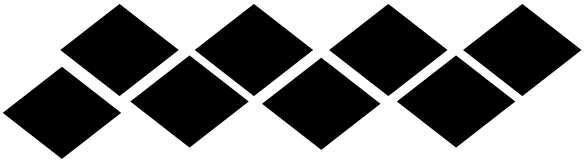

أسرار التناسب في الفواصل القرآنية في سورة النور: دراسة بلاغية

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الباحثة

ابتسام بغدادي

باحثة ماجستير بقسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

مجلة كلية الاداب – جامعة جنوب الوادي – العدد (٥١) لسنة ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة: 1110 - 614X

الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: 1110 - 709X

موقع المجلة الالكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

الملخص العربي:

يهدف البحث إلى دارسة أسرار التناسب في الفواصل القرآنية في سورة النور دراسة بلاغية ،وإن هذا البحث هو موضوع جدير بالبحث حيث إنه يتعلق بأشرف كلام وهو كلام الله ويظهر جانباً من جوانب أعظم وجه من وجوه الإعجاز القرآني وهو علاقة الفاصلة القرآنية بموضوع آياتها في إطار دراسة بلاغية تطبيقية لسورة النور ، وقد قامت الباحثة استكمالاً للفائدة إلى جانب إظهار هذا الوجه الإعجازي البياني الحديث

الكلمات المفتاحية: التناسب؛ الفواصل؛ في؛ سورة؛ النور

مقدمة:

الحمد لله منزل الكتاب المعجز بنظم آياته ، وتناسب سوره وفواصله ، فهو معجزة الإسلام الخالدة ، وهو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ، والصلاة والسلام علي الحبيب المصطفي ، أفصح العرب لسانا ، وأوضحهم بياناً ، الذي أوتي جوامع الكلم ، أما بعد ...

فإن القران الكريم هو معجزة الله – تعالى– الخالدة الباقية إلى يوم الدين، ولإعجازه وجوهٌ متعددةٌ أعظمها وأتمها وأعمّها الإعجاز البياني الذي ينتظم في القرآن كله حيث يوجد في كل سورة من سوره ، بل وفي كل آية من آياته الكريمة، نلمس ذلك جلياً واضحاً إذا تدبرنا التناسب بين الآية القرآنية وفاصلتها، فالفواصل القرآنية مرتبطة ارتباطًا وثيقاً بما قبلها من الآية، وهي مستقرة في موقعها، مطمئنة في موضعها، غير قلقة ولا نافرة، ولو استبدلتها بغيرها لاختلف المعنى ولفسد الغرض.

أهمية الموضوع:

١– تبرز أهمية الموضوع في كونه يتعلق بأشرف الكتب وأجلها، وهو القرآن الكريم، ويبحث جانباً من جوانب الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وهي المناسبة بين معنى الفاصلة القرآنية وآيتها حيث نلاحظ أن هناك علاقة وطيدة بين الفواصل القرآنية التي اختتمت بها بعض الآيات والمعاني التي سبقتها في الآية، وسورة النور حافلة بالفواصل القرآنية .

٢– القرآن الكريم عقد فريد ارتبطت ألفاظه وكلماته في الآية الواحدة، وارتبطت آياته ببعضها في السورة الواحدة، وارتبطت سوره ببعضها في القران كله حتى كان كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وهذه الفواصل القرآنية هي أحد الروابط الهامة التي تشد القرآن بعضه ببعض، وتظهر جانباً هاماً من الجوانب الإعجازية لهذه المعجزة الخالدة.

٣– تبرز أهمية هذا الموضوع في كونه يبحث في اهداف ومقاصد موضوعات سورة النور ، حيث إن الموضوع الواحد يشتمل على مجموعة من الفواصل ترتبط معانيها ارتباطا وثيقا بالمعنى العام للموضوع.

وأطلب العون من العلي القدير أن ييسر أمورنا وأن يوقنا لما يحبه ويرضاه

المبحث الأول : مقارنة بعض فواصل السورة المتفقة:

لا ريب أن فواصل السورة المتفقة والمشابهة تختلف في سياقاتها أو بعض ملامحها وعلة ذلك اختلاف المقامات والموضوعات التي ختمت بها الآيات، وهذا يدل على دقة القرآن الكريم في اختيار فواصله

الفاصلة ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

وردت هذه الفاصلة في السورة في موضعين فقط

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾النور آية ١

لا ريب أن إنزال السورة وفرضية ما فيها من أحكام وتفصيل الآيات البينات كل ذلك يحتاج إلى تجدد التذكر مع كل حكم وتشريع ولم تذكر الخيرية والرجاء كما سيأتي في الآيتين السابقتين لأن الغرض هنا عموم الآيات في السورة كلها .

قوله تعالى﴿ لعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾وهي مرتبطة ارتباطا وثيقاً بجملة ﴿ أَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَينَاتٍ ﴾ لأن الآيات بهذا المعنى مظنة التذكر أي دلائل مظنة لحصول تذكركم، فحصل بهذا الرجاء وصف آخر للسورة هو أنها مبعث تذكر وعظة.[١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ – النور آية ٢٧

ولما كان دخول البيوت أمرا متكررا كان مظنة لنسيان الاستئذان لذلك جعل الخيرية في استمرار التذكر مع كل دخول وجعله محلاً للخيرية والرجاء .

الفاصلة ﴿غفور رحيم﴾

وردت هذه الفاصلة في سورة النور أربع مرات

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢]

التوبة والإصلاح من قبل المسرفين على أنفسهم تقابل من العلي الوهاب بالمغفرة والرحمة ، وهذا ما دعا إلى ختام الآية هنا إلى ما ختمت به ، وأكدت الخاتمة هنا ب(إن واسمية الجملة حتى ينتزع اليأس من قلوبهم والمتمثل في قبول توبتهم .

١- انظر: (التحرير والتنوير) لابن عاشور، مج٩ ، ج١٨، ص١٤٢-١٤٤ .

٢- النور آية ٥

قوله تعالى: ﴿ وإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فقد سيقت هذه الفاصلة بعد توبتهم وقبولها، وفي هذا إشارة واضحة إلى أن هناك علاقة وثيقة بين فاصلة الآية وموضوعها.[٣]

قوله تعالى ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ على ما يقتضيه الاستثناء من معنى: فاقبلوا شهادتهم واغفروا لهم ما سلف فإن الله غفور رحيم .

الفاصلة ﴿تواب حكيم ﴾

هذه الفاصلة جاءت وحيدة في سورة النور وفي سور القرآن كلها ، يقول تعالي ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾[٤]

مناسبة ختام الآية بالتوبة والحكمة فيه دلالة على تفضل المولى على العصاة والمذنبين من عباده ، فالتوبة تناسب الفضل والحكمة تثبت وضع الأمور في نصابها فالتوبة لا تدل على التساهل أو التراخي أو توبة غير معلولة بعلة لكنها توبة من رحيم وتواب لحكمة يعلمها هو ، وليست توبة عن ضعف أو غفلة ، ولذلك أكدت الفاصلة حتى يتيقن أن قبول توبتهم لحكمة يعلمها هو – تعالى – .

في هذه الآية بيان أن الله عز وجل حكيم بالتلاعب على الصورة التي أمر بها وأراد بذلك ستر هذه الفاحشة على عباده، وذلك حكمة منه، فكانت فاصلة هذه الآية (تَوَّابٌ حَكِيمٌ) إثر بيان الحكم، جمعا بين التوبة المرجوة من صاحب المعصية، وبين الحكمة في سترها على تلك الصورة.[٥]

الفاصلة ﴿عذاب عظيم﴾

وردت هذه الفاصلة ثلاث مرات في سورة النور قال تعالي

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٦]

---

[٣]- (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي، ج١٢، ص١٨٦، (بتصرف يسير).

[٤]- النور آية ١٠

[٥]- انظر: (محاسن التأويل): القاسمي، ج١٢، ص٤٤٥٩.

[٦]- النور آية ١١

والعذاب العظيم ملائم لهذا الذي تولى وأعرض وما حمله على ذلك الإعراض إلا غروره وتكبره ، ولذلك اشتملت الخاتمة علي أسلوب الحصر بتقديم المسند (لهم) حتى يكون أقوى في الردع وأشد في التخويف .

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٧]

ورحمة الله بالمذنبين هي السبب المباشر لصرف العذاب العظيم عنهم ولو عاملهم بذنوبهم ومخالفتهم لأوامره واقترافهم لنواهيه لمسهم العذاب العظيم .

الفاصلة﴿ عليم حكيم﴾

جاءت هذه الفاصلة ثلاث مرات في سورة النور قال تعالي

﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٨]

بعد أن بين سبحانه الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن آداب معاملة المسلمين بين في فاصلة الآية بأنه عليم حكيم، وهما وصفان يوجبان الطاعة له سبحانه، لأن من لا يكون عالما لا يجب قبول تكليفه ، فقد يأمر بما لا ينبغي، كما أنه يجب أن يكون حكيما فالعالم إن لم يكن حكيما فقد يعذب المطيع ويثيب العاصي، وحينئذ لا يبقى للطاعة فائدة، وأما إن كان عليما حكيما فإنه لا يأمر إلا بما ينبغي ولا يهمل جزاء المستحقين ، [٩] وفي هذا إشارة واضحة للعلاقة بين فاصلة هذه الآية وموضوعها.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١٠]

وفي هذا إشارة واضحة للعلاقة بين فاصلة الآية وموضوعها، حيث حث الله في سياق الآية على ضرورة استئذان الأطفال إذا بلغوا الحلم عند دخولهم بيوت الآخرين لأن الله سبحانه عليم بما سيترتب على دخولهم من غير استئذان حكيم في فرضه لهذه الأحكام.

---

[٧]– النور آية ١٤

[٨]– النور آية ١٨

[٩]– انظر: (التفسير الكبير؛: للرازي، ج٢٣، ص١٨١–١٨٢، و(روح المعاني؛: لألوسي مج١٠، ج١٧، ص١٨٠.

[١٠]– النور آية ٥٩

وفي هذه الخاتمة أضيفت الآيات إليه تعالى – تشريفا وتعظيما لها وحتى لا يستهان بالأطفال بعد بلوغهم.

الفاصلة ﴿سميع عليم﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[النور : ٢١]

واتباع خطوات الشيطان وتنفيذ مخططاته المحكمة التعتيم مهما كانت سريتها وإن ظن أصحابها لا يسمعا أو يعلمها أحد فختمت الآية بأنهم وما يمليه الشيطان لهم ليسوا في غفلة عن سمع الله وعلمه .

﴿ والْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٠]

وهذا السلوك المعيب المشين وهو التبرج وإبداء الزينة لغير الأزواج لا يخفى على إله ثبتت له صفة السمع والعلم

الفاصلة﴿ الأبصار﴾

الأبصار التي ختمت بها فواصل الآيات الثلاث اختلفت ففي الآية الأولى ذكرت تقلب القلوب والأبصار لأن الغرض منها بيان ما قي القيامة من أهوال . والآية الثانية بيان شدة ضوء البرق ، والآية الثالثة أخذ العظة والعبرة ، فسبحان من هذا كلامه .

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[١١]

هذا ثناء عاطر على قوم لم تلههم الدنيا وما فيها من شهوات مادية عن ما افترضه الله عليهم من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، والحامل والدافع لهم خوفهم من يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار فالخاتمة هنا كالعلة المناسبة لفعلهم .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾[١٢] .

---

[١١]– النور آية ٣٧

بيان لفضل الله على عباده وما حباهم به من تمام نعمته إذ لولا ذلك لذهب هذا البرق بأبصارهم فسبحان المنعم المتفضل .

الفاصلة ﴿ المصير ﴾

ذكر المصير في سورة النور في آيتين الأولى منهما أراد به العموم فمصير الخلائق كلها إلى الله ، وصحبها التوكيد المفهوم من أسلوب القصر وسلك في هذا الاستعمال طريق التقديم حيث قدم الجار والمجرور (وإلى الله المصير) أما الآية الثانية فأراد مصير الكفار لذلك قال في الأولى (وإلى الله المصير) وقال في الثانية (وبئس المصير).

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾[١٣]

لما بين سبحانه في هذه الآية بأن له ملك السماوات والأرض، فهذا يتضمن أنه خلق كافة المخلوقات، فلذلك ناسب أن تكون الفاصلة مقررة بأن مصير كافة هذه المخلوقات كائن إليه سبحانه، وهذا من تمام ملكه وعظمته[١٤]، وفي هذا إشارة واضحة إلى أن هناك علاقة وثيقة بين فاصلة الآية وموضوعها.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[١٥]

الفاصلة ﴿عذاب أليم ﴾

وردت الفاصلة (عذاب أليم) في موضعين ، الفاصلة جاءت في حق من يحرصون على ترويج الشائعات وسلكت الفاصلة أسلوب القصر ليزرع الوجل في قلوبهم فكأن العذاب كله لهم وحدهم لا لغيرهم ، والفاصلة الثانية جاءت في شأن الذين يخالفون أوامره – تعالى – وترك أسلوب القصر هنا لتردد العقوبة بين أصابة الفتنة ، أو إصابة العذاب الأليم .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾١٦

١٢– النور آية ٤٣

١٣– النور آية ٤٢

١٤– (التفسير الكبير): للرازي، ج٢٤، ص٠١٢ (بتصرف)

١٥– النور ٥٧

١٦– النور آية ١٩

صرح المولى – جل جلاله – هنا بعقوبة الحريصين على إشاعة الفوضى ينشر الشائعات وهي العذاب المؤلم الذي يحل بهم في الدنيا وينتظرهم يوم القيامة ، ولا ريب أن انتظار العذاب أشد وأنكى من العذاب نفسه .

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١٧]

المبحث الثاني: مقارنة بين بعض فواصل السورة وبعض فواصل سور أخرى

ومن المعلوم أن القرآن الكريم ذاخر بالفواصل المشابهة لبعض الفواصل في سورة النور وسوف أتناول القليل من تلك الفواصل الكثيرة لأدلل بها على أن التشابه لا يوحي باتفاق الفواصل في المعنى كما أن الفوارق الطفيفة لها مغزاها وغرضها والمساعد على معرفة تلك الفوارق السياق والمقام وموضوعات السور وغير ذلك .

الفاصلة (لعلكم تذكرون)

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النور آية ١

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النور آية ٢٧

آية النور الأولى تحث على التذكر لما سيذكر من آيات قرآنية وردت في هذه السورة وفي غيرها ، وآية النور الثانية تحث على التذكر لأدب من أهم الآداب التي أشارت إليها السورة وهو أدب الاستئذان ، ومن الملاحظ في هاتين الفاصلتين دقة القرآن الكريم في ذكر التذكر في سياق الترجي الدال على أهميته وأهمية عدم النسيان.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ – السجدة آية٤

وهنا في آية السجدة ورد التذكر عقب بعض آيات تدل على قدرته وعظمته ، وهي خلق السماوات والأرض وما بينهما ، وأيضا حاجة العباد إليه في كل الأوقات والأماكن فالولاية له وحده – تعالى – وكذلك الشفاعة ، وورد التذكر في سياق الاستفهام والذي أراد به الأمر ، وهو لا ريب أبلغ وأدق من الأمر المباشر لأنه يحمل في طياته التبكيت والسخرية بالذي لا يتذكر باهر آياته .

---

[١٧]– النور آية ٦٣

أي ألا تسمعون هذه المواعظ فتتذكرون بها أو أتسمعونها فلا تتذكرون بها ، [١٨] ولا تعتبرون وتتفكرون فتعلمون أنه ليس لكم من دونه ولي ولا شفيع فتفردوا له الألوهية وتخلصوا له العبادة ، وتخلعوا من دونه من الأنداد والآلهة ، [١٩]

الفاصلة (لأولي الأبصار)

﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ﴾ النور آية ٤٤

لا ريب أن تقلب الليل والنهار آية من آيات الله المتكررة في الكون كل يوم ، وهذا من شأنه يدعو لأخذ العظة والاعتبار ، وأصحاب العقول السليمة هم أهل لذلك ، ومن هنا جاءت الفاصلة في آية النور هنا داعية أصحاب العقول بأخذ العظة والعبرة من تقلب الليل والنهار دون خلل أو اضطراب .

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾آل عمران آية ١٣

وأخذ العظة والعبرة هنا في آل عمران في مقام القتال ومجاهدة الكفار ، إذ العبرة ليست بالكثرة وإنما هي بقوة الإيمان وتوفيق الله – تعالى – (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ...)

الفاصلة (إن الله علي كل شيء قدير)

ومظاهر قدرة الله في الكون تفوق الحصر، وقد ذخر القرآن الكريم بالعديد منها وهنا في سورة النور ورد مظهر من تلك المظاهر في قوله تعالى :

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ – النور آية ٤٥ .

والآية اشتملت على جانب من جوانب القدرة الباهرة في بعض مخلوقاته فكل الدواب مخلوقة من ماء لأكن رغم اتفاقها في مبدأ الخلق إلا أنها تختلف في كيفيىة المشي فمنها من يمشي على بطنه ، ومنها من يمشي على رجلين ، ومنها من يمشي

---

[١٨]– روح المعاني : للألوسي ، ج ٢١، ص١٨١ .

[١٩]– جامع البيان عن تأويل آي القرآن : للطبري ، ج ٢٢ ، ص ٦٩٤٤ .

على أربع ، وبدأ بالمستغرب وهو المشي على البطن ، واختار القرآن المشي هنا دون سواه لتكرر مشاهدته ووضوحه ، وأتى في الفاصلة بلفظ الجلالة رغم أنه قد سبق ذكره لتربية المهابة وإظهار حكمته في الخلق والإبداع ، وأكدت الفاصلة ب(إن) واسمية الجملة والعموم المستفاد من قوله (على كل شئ)

وفي سورة البقرة قال تعالي :﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾- البقرة آية ٢٠

وأيضاً من مظاهر قدرته وبديع صنعه البرق المشاهد للناس في كثير من الأوقات والأزمان وهو سلاح ذو حدين فقد يكون مصدراً للضرر وقد يكون مصدرا للنفع وكلاهما في مقدوره وتحت تصرفه ، لذلك ختمت الآية بما يتناسب مع هذه الآية الباهرة .في سورة ال عمران

الفاصلة (عليم حكيم)

جاء اقتران الاسمين الحسنين ، (عليم حكيم) في سور القرآن كلها (٣٦) مرة ، وفي سورة النور جاءت في ثلاث مواضع قوله تعالي :

﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾- النور آية ١٨

بيان الآيات يحتاج إلى علم وحكمة لذلك ختمت الآية بقوله (والله عليم حكيم) ووضع الظاهر موضع الضمير لتربية المهابة في قلوبهم .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاء ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ -النور آية ٥٨

العليم بأحوال الناس في خلواتهم وجلواتهم هو هنا في كتابه الكريم ينظم لهم حياتهم في أدق ما يكون فيها من الحفاظ على العورات ولو من أقرب الناس أو من يظن بهم عدم التأثر بذلك ، وهذا لا يقدر عليه إلا الله المتصف بالعلم المصاحب للحكمة .

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ - النور آية ٥٩

وبداية مرحلة البلوغ عند الأطفال البعض لا يأبه به ولا يجعله محل عناية وترقب لذلك نبه الله المجتمع المسلم أن الأطفال من بداية بلوغهم يطلب منهم الاستئذان وجاء اقتران (عليم حكيم) في بعض سور القرآن قال تعالي :

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾– الأنفال آية ٧١

وخيانة الرسول هي خيانة لله لأنه هو الذي أرسله بشرعه ، وما الله بغافل عن خيانتهم له وخيانتهم لرسوله لكن يؤخرهم لحكمة يعلمها هو – تعالى – وقد جاء اقتران (عليم حكيم) في ختام الآية مناسبا ؛ إذ هو العليم بخبيئة نواياهم ، وهو الحكيم في تدبير شأنهم ، وكفاية المؤمنين شرورهم .

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ – التوبة آية ١٥

أبانت الآية حكمته تعالي في ابتلاء المؤمنين بالكافرين ، ورفع درجاتهم عند الله ، وهدايته ولو بعد حين لمن يشاء من خلقه .

الفاصلة (سميع عليم)

جاء اقتران (سميع عليم) في سور القرآن كلها ، (٣٢) مرة

وجاء (سميع عليم) في سورة النور مرتين .في قوله تعالي

﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ – النور آية ٢١

لما كان الشيطان لا يري لأبناء آدم وآثار وسوته ظاهرة بادية فأراد –تعالى – أن يعرف الشيطان ويعرف من يستجيبون لوسوسته أنهم جميعا – سبحانه وتعالى يسمع الوسوسة ويعلمها ويعلم من يعرض عنها ويعلم من يستجيب لها ولذلك أتي بالاسم الظاهر دون الضمير .

وجاءت في سورة الأنفال قال تعالي

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾– الأنفال آية ٦١

والجنوح للسلم في دنيا الحروب قد يكون عن ضعف وقد يكون عن قوة والجانب الظاهري فيه يحتاج إلى سمع لأن ما يدور من كلام في شأن السلم يسمعه الله والجانب

المعنوي وهو ما يضمر في النفوس يعلمه – سبحانه وتعالى – لكل ذلك ختمت بـــ(السميع العليم)

وفي هذه الآية نجد أن ختمت (سميع عليم) ، جاء في معرض الحديث عن النفس البشرية ، وما يدور في خواطرها ونواياها ، ومدى ما تبطنه من نقاء فطرة مؤمنة ، أو دنس فطرة مطموسة خائنة .

الفاصلة (غفور رحيم)

جاء اقتران (غفور رحيم) في القرآن كله، (٧٢) مرة ، وجاء (غفور رحيم) في سورة النور

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾–النور: ٥

والمسرف على نفسه يخشى عليها مما اقترفه في ما سلف من أيامه فجاءت الفاصلة مطمئنة وماحية بما يؤكد هذا ويقويه (إن الله غفور رحيم) .

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾– النور آية ٢٢

وختمت الآية هنا بالغفور الرحيم حتى لا يبقى في نفوسهم شئ وخاصة الصديق – رضي الله عنه – فعفوه –رضي الله عنه – عن مسطح يقابل من الله – تعالى بالمثل من مغفرته ورحمته

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ النور آية ٦٢

وجاءت الفاصلة هنا مغايرة لما سبق حيث دخلت (إن) المؤكدة لأن مخالفة بعضهم ورجوعهم عنها مظنة عدم المغفرة لذلك أكد لهم حتى يطمئنوا .

جاءت في سورة الأنفال قال تعالي

﴿ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾–الأنفال آية ٧٠

جاءت الفاصلة مختومة بأسمى الله (غفور رحيم) ، لأن أبواب رحمته ومغفرته مفتوحه أمام عباده أجمعين ، مؤمنهم وكافرهم ، يدعوهم إليها دائما في كتابه الكريم .

ودخلت الواو العاطفة هنا لتفيد المغايرة بين مغفرة الله لهم وبين ما في قلوبهم من الخير فرحمته تحقق لهم منافع وفوائد تفوق ما أخذ منهم بكثير .

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾– التوبة آية ٥

ناسب ختمها بقوله ، (غفور رحيم) ترغيبا في رحمته سبحانه ، وأنه يغفر لهم ذنوبهم

كلها مهما عظمت وعلة توكيد المغفرة والرحمة هنا لأنهم ربما يساورهم الشك في مغفرة الله لهم بعد شركهم .

وجاء تقدم (الرحيم) علي (الغفور) في آية واحدة في القرآن كله ،في قوله تعالي :

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾– سبأ آية ٢

وتقدم أسمه (الرحيم) علي (الغفور) هنا ، لأن رحمته عمت كل المخلوقات ، في السموات والأرض ، أما مغفرته فقد لحقت المؤمنين الطائعين من الجن والإنس ، لأن المعاصي والمخالفات لا تقع إلا منهم . والله أعلم .

الفاصلة (رءوف رحيم)

جاءت (رءوف رحيم) في سورة النور مرة

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّه رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ – النور آية

لا ريب أن من أجل وأعظم نعم الله على عباده معاملتهم بالفضل لا بالعدل ، والتي من مظاهرها رأفته ورحمته بالمذنب والمسئ وبما عداه أولى . جاءت الفاصلة في سورة البقرة قال تعالي

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾– البقرة آية ١٤٣

ختمت الفاصلة (رءوف رحيم) فظهرت رحمته الواسعة بالناس في هذه الفاصلة ، باقتران (رءوف رحيم) ، فهو ليس رحيما وكفي ، وإنما شديد الرحمة ، وهو معني الرؤوف

الفاصلة (والله بكل شيء عليم)

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ – النور آية ٣٥

لفظ الجلالة جاء مصاحبا لهذه الفاصلة حتى يربي المهابة في نفوسهم ولكي يكون عندهم استعداد وترقب لمجيئه، وردت في سورة الأنفال (إن الله بكل شيء عليم) في قوله تعالي

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ – الأنفال آية ٧٥

ودخلت (إن) المؤكدة لهذه الفاصلة فالإيمان والهجرة والجهاد والرحم وما يكون لها من حقوق كل ذك وغيره في علمه تعالى – وهذه علة التوكيد .

وفي سورة التغابن قال تعالي :

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾– التغابن آية ١١

ولما كانت المصائب ابتلاء وجب الصبر عليها وتحملها والرضا بها ، والسلاح الوحيد الدافع للصبر هو الإيمان ومنه صبرهم والذي ضمن ما يعلمه الله من كل الاشياء وسر العطف هنا ليغاير علمه علم غيره – سبحانه – .

الخـــاتـــمـــة

توصلت الباحثة خلال هذا البحث إلى مجموعة من النتائج:

١– الفاصلة القرآنية نمثل جانباً هاما من جوانب الإعجاز البياني وتظهر وجهاً مشرقاً من وجوه الإعجاز اقرآني.

٢– إن المتدبر لكلام الله سبحانه يلاحظ أن القرآن الكريم عقد فريد ارتبطت ألفاظه وكلماته في الآية الواحدة، وارتبطت آياته ببعضها في السورة الواحدة، وارتبطت سوره ببعضها حتى كان كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

٣- اهتمام العلماء قديما وحديثا بعلم المناسبات والفواصل نظرا لمساهمة هذه العلوم في خدمة كتاب الله عز وجل، حيث تظهر بلاغته وفصاحته وإعجازه.

٤- لا يجوز إطلاق كلمة السجع على الفاصلة القرآنية وذلك لأنها بلغت حدا من البلاغة تتقاصر عقول البلغاء وطاقاتهم عن الإتيان بمثلها.

المراجع

١. الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، قدم له وعلق عليه الأستاذ محمد شريف سكر، وراجعه الأستاذ مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم — بيروت، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٦د – ١٩٩٦م.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود القاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، خرج أحاديثه وعلق عليه وضبط نصه ووضع فهارسه الشيخ محمد صبحي حسن حلاق، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، الطبعة الأولى 1441د–2001م.

٣. الأساس في التفسير: سعيد حوى، دار السلام، الطبعة الثانية 1409ف–1989م.

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشتقيطي الموريتاني المالكي الأفريقي، وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم، ويليه دفع يهام الاضطراب عن ايات الكتاب ورسالة منع المجاز عن المنزل للتعبد والإعجاز، اعتنى بها الشيخ صلاح الدين العلايلي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1417ف–1996م.

٥. الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره: د. محمد أحمد يوسف القاسم، الطبعة الأولى 1399ف–1979م.

٦. إعجاز القران: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري، المعروف بالباقلاني أبو بكر، دار المعارف، الطبعة الرابعة.

٧. إعراب القرآن وبيانه، المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ٤٠٣هــ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، الطبعة: الرابعة، ٤ ٥ هــ، (٦/ ٥٦٠).

The secrets of proportionality in the Qur’anic breaks In Surat Al-Nur

Ibtesam Baghdadi

Abstract

This is the subject of a study dealing with the Qur’anic breaks in Surat al-Nur, and the study in it dealt with the close proportion and complete harmony between the comma and the verse in which it was mentioned, and this harmony and harmony is not limited to the breaks of Surat al-Nur only, but is a common thing in all the breaks of the Holy Qur’an, and this highlights aspects of greatness In the miracle of the Noble Qur’an with its eloquence, and this study showed the ability of the commas in their verses, so that if a comma is substituted for something else, it does not fulfill its performance and is not at the level of its harmony.